السلاح في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف

م. م. نضال مهدي العقابي
جامعة بغداد/ كلية الإدارة والاقتصاد

المستخلص

كان للحروب المتواصلة في الاندلس عصر ملوك الطوائف الاثر الواضح لظهور شعر السلاح الذي يصور الحروب التي خاضها المسلمون ضد النصارى، والاسلحة التي كانوا يستخدمونها في المعركة واهمية كل نوع، والوقوف أمام مخططاتهم الجارفة، التي تحاول جاهدة للقضاء على الاسلام والمسلمين في الاندلس، فأخذ الشعراء يشيدون بانتصاراتهم تشجيعا للمسلمين واستنهاض هممهم، فأخذ شعر السلاح حيزاً واسعاً في أشعارهم، ودخل في معظم اغراضهم الشعرية من مدح وفخر ورثاء وغزل، وكان المديح اكثر هذه الاغراض ارتباطاً بوصف السلاح.

ولم يكتف الشعراء بوصف السلاح وأنواعه وصفاته، بل تطرقوا إلى أجزائه أيضاً، كما وتطرق الشعراء إلى الاسلحة الحربية المتطورة من السفن والاساطيل الحربية التي كان لها الدور الواضح في أرض الاندلس وذلك بحكم طبيعة بلادهم المحاطة بالمياه من ثلاث جهات، كما استخدم الاندلسيون المنجنيق والمدفع في معاركهم.

فالشاعر الاندلسي كان يستمد عناصر صوره من مخزونه الثقافي أو من الحضارة الجديدة التي امتزج بها وتفاعل معها فأضفت الطبيعة على شعر السلاح مسحة جمالية فجاءت صوره معبرة عن ذوقه الفني، ولطف خياله، مما جعل بعض صوره مبتكرة.

التمهيد: السلاح عند العرب:

عرف الانسان السلاح منذ القدم، حيث استخدم الانسان البدائي الواناً من الادوات الجارحة من اجل حماية نفسه، ولم تحتل فكرة الايمان بمبدأ (الصراع من اجل البقاء) أهمية كبرى، فكانت حياته منذ نشأتها حرة لا تقيدها قيود.

وبما ان الانسان بفطرته ضعيف، وبحكم طبيعة ما حوله من الحيوانات المفترسة، والوحوش، ألهمته هذه الطبيعة ابتكار طرق مختلفة للدفاع عن نفسه، وبذلك اخذت فكرة السلاح تتسع حتى شملت ساحة القتال (فكانت في البدء عصا أو غصناً أو عظم حيوان ثم لما بدأت الادوات بالظهور اخذت شكل ترس وخوذة ثم ظهر الدرع)[1].

وكان تطور الانسان باعثا فيما بعد إلى انشاء مجتمعات، عرفت فيما بعد بالحضارات، وبشكله المألوف بالقبيلة في العصر الجاهلي، حيث كان زاخراً بالصراعات الدامية من اجل الحفاظ على وحدة القبيلة وممتلكاتها، كما هو الحال في حرب البسوس، وكان لكل قبيلة أو فرقة شعراؤها ليمارسوا هجاء الاعداء، وكان لهم دور واضح عد أمضى من السلاح ذاته.

ثم استمر الانسان العربي على هذا المنوال حتى في العصر الاسلامي، حيث ارتبط السلاح بهدف عظيم وهو نشر الدين الاسلامي وردع المشركين واعلاء كلمة الله في مشارق الارض ومغاربها، ولقد حث الدين الاسلامي على ضرورة الدفاع عن الدين بشتى الاساليب والوسائل، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(الانفال: ٦٠).

وعندما جاء العصر الاموي، ارتبط السلاح بالفتوحات الاسلامية، لانه اصبح مجتمعاً قادراً على أن يمتلك كل رجاله عدة تفوق القدرات البسيطة، وعبر الشاعر الاموي عن احساسه باهمية السلاح، لما مثلته هذه الاداة من عنصر معبر عن إرادته وطموحه تجاه الحياة.

وعندما انتقلنا إلى العصر العباسي، ساهم السلاح أيضاً في فتوحاته، وارتبط عند شعراء هذا العصر بجميع الاغراض، ولاسيما غرض الفخر، الذي يكاد يكون من بين الاغراض الاكثر حظا في ذلك.

اما في الاندلس فحظي السلاح بعناية كبيرة، وكانوا من شدة تعلقهم به وتعظيما لقدره، واعتزازهم به ولأهميته ودوره في تحقيق النصر والحفاظ على أرضهم أن أصبح عنصراً مهماً من عناصر البطولة، فهو سمة بارزة في اثارة اعجابهم، لما تكتنز به دلالته من ارضاء ذوقهم الفني، فشعرهم زاخر بذكر السلاح، فدخل في معظم الاغراض حتى شمل مساحة واسعة من الشعر الاندلسي كالفخر والمديح والرثاء والغزل.

المبحث الاول

الاسلحة وأنواعها

تمثل الاسلحة احد الاركان المكملة للمقاتل العربي التي لا غنى عنها في وقت الحرب والسلم للدفاع عن النفس والذود عن الاسلام والمسلمين في الاندلس.

ويمكن تقسيم الاسلحة بشكل عام إلى نوعين هما:

اولا: الاسلحة الهجومية ثانيا: الاسلحة الدفاعية

اولا: الاسلحة الهجومية:

تعد الاسلحة الهجومية من أبرز الأدوات التي كان يستخدمها المقاتل العربي في مقارعة الاعداء وتحقيق النصر والحفاظ على النفوس، حيث كان القتال لدى الاندلسيين سمة بارزة وواضحة في المحافظة على الدولة الاسلامية في الاندلس من النصارى، فضلا عن أنها أداة زينة، وبذلك تطورت صناعة الاسلحة لديهم بمختلف الانواع من (سيف، ورمح، وسهم) واعتمد المقاتل الاندلسي على مرتكزات حسية ومعنوية، فتغنى شعراؤهم بهذه الادوات حتى اصبحت سمة التباهي والتفاخر بانواعها واقتنائها من ضروريات العصر ومن المقومات التي تقوم عليها الدولة في الاندلس.

ومن اشهر الاسلحة الهجومية:

١- السيف:

يأتي السيف في مقدمة الاسلحة الهجومية، لما له من منزلة كبيرة في نفوس العرب، لانه عدته التي لا يستطيع ان يستغني عنها في وقت الحرب والسلم، فقد كان من مقومات الفخر والتباهي لديهم، وكان أنيسهم في غربتهم، فضلاً عن دوره الفعال في المعارك والفتوحات، وهو يغني عن غيره، ولا يغني عنه غيره في الاكثر، ويعمل به عمل السلاح كله، وقيل ان العرب كانت تطعن به كالرمح، وتضرب به كالعمود، وتقطع به كالسكين، وتجعله سوطاً أو مقرعة، وتتخذه جمالاً في الملأ، وسراجاً في الظلمة، وانساً في الوحدة، وجليساً في الخلاء، وضجيعاً للنائم، ورفيقا للسائر وتسميه عطافاً ووشاحاً وعصا، ورداء، وثوباً، وهو قاضي القتال، وفيصل الحكم بين الرجال [٢].

وغالبا ما ارتبط ذكر السيف في عصر صدر الاسلام بهدف عظيم، الا وهو نشر الدين الاسلامي والمحافظة عليه والدليل على ذلك شعرهم الزاخر بذكره، فضلا عن الاحاديث النبوية التي وردت في ذكره، منها قوله (ρ) ((من تقلد سيفا في سبيل الله قلده الله يوم القيامة وشاحين من الجنة))[٣]، وعن الامام علي (υ) قال: ((بقية السيف ابقى عدداً واكثر ولداً))[٤].

أما في الاندلس فقد حفل شعرهم بالسيف في معظم موضوعاتهم الشعرية، وذلك لاهميته في توطيد أركان الدولة الإسلامية والحفاظ عليها من المتعدين، ولاسيما عصر ملوك الطوائف، فوقف الشعراء على انواعه واجزائه شأنهم في ذلك شأن شعراء المشرق، ومن اشهر انواع السيوف هو السيف الهندي كما في قول ابن وهبون في مدح المعتمد بن عباد، وهو يصف السيوف الهندية في ساحة الوغى:

وكلما نفحتَ ريحُ الهدى خَمَدَتَّ دَماؤهم وسيوفَ الهند تشتعلُ [٥]

والسيف اليماني قد ورد ذكره ايضاً في اشعارهم، كما في قول ابن وهبون وهو يشيد بشجاعة المعتمد بن عباد واصفاً سيفه:

يمـــانٍ فـــي يـــدي مـــاضٍ يمـــانِ فـــلا نـــابي العـــزار ولا كهـــام (٦)

والسريجي نوع من انواع السيوف التي فخر الشعراء بها، لما لها من دور في تحقيق المآثر والبطولات، وقد اشاد ابو الصلت بسيف بطله الذي اتخذ من رؤوس الابطال غمد له:

وكـــل ســـريجيّ إذا ابتـــز غمـــده تعوضُ مـن هـام الكمـاة لـه غمـدا (٧)

وظل الشعراء الاندلسيون يفخرون بالسيوف التي لها عمق تأريخي، كسيف ذي الفقار سيف الامام علي (υ)، وكذلك الصمصام سيف عمرو بن معد يكرب، كقول ابي المغيرة بن حزم في سيف المنذر بن يحيى، فيقول:

لـو تفتقـد صمصـام عمـرو فـي الـوغى فلقـــد ســـالنا ذا الفقـــار مُـــذّكرا
لا غـرو جئـت البحـر اذا أجلـى الحيـا ورأيـت يحيـى حـين لـم أر منـذرا (٨)

ولقد عني الشعراء برسم ابعاد ما يمتاز به السيف من صفات وما يؤديه من دور عناية كبيرة، ويعد تعبيراً عن فهم خاص به، ومن الصفات التي اطلقت عليه (العضب، والصارم، والمرهف،...).

فهو العضب كقول ابن حمديس وهو يشيد بشجاعة علي بن يحيى واصفا سيف بطله العضب يوم الوغى بلسان شواظ ينشر الذعر بين الاعداء:

يصـــولُ بعضـــب فـــي الكفـــاح كأنّـــه لســان شــواظ منــه يضــطرم الــذعر(٩)

والصارم كقول ابن حمديس:

حببنـــا عليهـــا ضـــربنا مـــن صـــوارمٍ فغاصت بها من أسرها القلب أنفس(١٠)

والمرهف كقول ابي بحر بن يوسف بن عبد الصمد، وهو يصف سيوف المسلمين المرهفة في يوم الوغى بانها صفحات بيض نبت الورد عليها، إذ يقول:

والمرهفـــات مـــن النجيـــع كأنهـــا صـــفحات بـــيض بينهـــا توريـــد (١١)

وقد سجل الشعر الاندلسي هذه الصفات بصور شعرية جميلة عبرت عن اهتمامهم الكبير بها، وعظيم جهدهم لبلوغ ما اراد الشاعر ان يوصله إلى المتلقي.

كما اشار الشعراء إلى الاجزاء التي يتكون منها السيف من (غرار، متن، مقبض، غمد، نجاد).

فالغرار هو حداه أو شفرتاه، كقول ابن حمديس وهو يشيد بشجاعة المعتمد بن عباد وقوة سيفه الذي يتطاير منه شواظ النار لحدة شفرتيه، فيقول:

بحســـــام مطفـــــئ اوراحهـــــم بشـــــواظ البـــــارق المتقـــــد
لغراريـــــه علـــــى هامـــــاتهم مـن شـرار القـدح مـا فـي الزنـد (١٢)

أما المتن فهو من اجزاء السيف المهمة، وقد سجل الشعر الاندلسي اهمية هذا الجزء وما يجب ان يتحلى به من حدة ورهافة، كما في قول ابن حمديس:

وكأنمـــا قفـــر يطـــول بمتنـــه فـــي رملـــه للنمـــل اثـــر أنامـــل (١٣)

أما المقبض وهو المنطقة التي يمسك بها المقاتل السيف، كقول ابن هانئ:

فـــلا حملـــت بـــيض الســـيوف قـــوائم ولا صـــحبت ســـمر الرمـــاح انابيـــب(١٤)

و(الغمد) وصفه الشعراء باوصاف شيقة، ومن ذلك قول ابن حمديس وهو يصف السيف ودخوله الغمد بعد استخدامه في المعركة تفوح منه رائحة الموت:

مـــن كـــلّ ابـــيض راكـــضٍ فـــي غمـــده لـــجّ المنيـــة مُعطـــبٌ بالســـاحل(١٥)

و(النجاد) هو حمالة السيف وقد وصفه ابن هانئ وصور حسن منظره بقوله:

وافـــى بهيبـــة ذي الفقـــار كأنّمـــا وشـــحته بنجـــاده توشـــيحا (١٦)

٢- الرمح:

ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الاهمية القتالية ودوره الكبير في دحر الاعداء والدفاع عن الاسلام، لذا قالوا (الرمح رشاء المنية)(١٧)، وورد ذكره في احاديث الرسول محمد (ρ)، كقوله (عليكم بالقنا والقسي، فيها نصر نبيكم وفتح لكم في البلاد)(١٨).

فحظى الرمح بعناية شعراء الاندلس عصر الطوائف، لما له من دور كبير في المعركة، حتى تمكنوا من إعطاء صورة رائعة له بكل انواعه، فأضفوا عليه عنصر التشخيص مما جعله نابضاً بالحياة والحركة.

ومن أشهر أنواع الرماح هي:

- الرمح السمهري كما في قول المعتمد بن عباد:

ألاكـــــرم يـــــنعشُ الســـــمهريّ ويشـــفيه مـــن كـــل داءٍ دفـــين(١٩)

- والرمح الخطي، كما في قول ابن حمديس وهو يمدح الحسن بن علي بن يحيى، ويذكر انهز ام عدوه عام الديماس:

ودون مـرام الـرّوم فيمـا سـموا لـه قلائـدُ أعنـاقٍ هـي القضـبُ البتـر
وخطيَّـة تخـتطّ مـنهم حيازمـاً وأحـداقها زرقٌ وأجسـادها حُمـر[٢٠]

– والرمح الرديني من انواع الرماح التي فخر الشعراء بها، مثال على ذلك قول ابن حمديس وهو يصف شجاعة المعتمد بن عباد:

وللردينـي يـوم الطعـن عاليـةٌ تلـوك بـين حشـا الضـرغامة الكبـدا[٢١]

– أما النوع الرابع من الرماح فهو الرمح اليزني، كما في قول ابن حمديس، وهو يصف رمح المعتمد بن عباد:

فـي سـماء النقـع منـه كوكـب طـالع فـي يزنّـي املـد
ابـداً يـدعو إلـى مأدبـةٍ حُـوّمٌ الـوحش عليهـا تعتـدي[٢٢]

وقد رأينا اهتمام الشعراء الاندلسيين كثيراً بذكر الصفات التي ينبغي ان يتحلى بها الرمح مثل (الدقة، والنحافة، واللين)، كما كانوا يفضلون الرماح الطويلة لانها كانت تظهر قدرة المقاتل للوصول إلى الهدف المنشود، من ذلك قول ابي علي ادريس بن اليماني وهو يصف الرمح فيجعل من التوائه في نحر كل مقاتل مدجج بالسلاح ليا كما يفتل السوار باليد فتلا:

يلـوي القنـا فـي نحـر كـل مُـدجّجٍ ليـاً كمـا فتـل السـوار الفاتـلُ[٢٣]

ولم يكتفِ شعراء الاندلس بوصف الرماح وانواعها واهميتها، بل امتد ليشمل تصويرهم للاجزاء التي يتكون منها الرمح، ويأتي في مقدمتها النصل أو السنان، ومن الامثلة على ذلك قول ابي بكر بن سوار في مدح ابي الحسن بن قاسم وهو يشيد بشجاعة ابطاله في المعركة، فيشبه سنان رماحهم بالانجم، فضلا عن انهم مدربون على الطعان حتى كأنهم في الشمس ليل مظلم لكثرة عددهم، إذ يقول:

وكـان كـلُّ كمـيٍّ حـرب مـاردٌ تهـوي اليـه مـن الاسـنةِ أنجـمُ
ومـدربين علـى الطعـان لقيـتهم وكـأنهم فـي الشـمس ليـل مظلـم[٢٤]

أما القناة فقد تتخذ من شجر الخطي أو الوشيج، وتتكون من عدة اجزاء هي (الثعلب، والعامل، والكعب).

فالثعلب هو ما يدخل في العصا من الجبة [٢٥]، كما في قول ابن حمديس وهو يصف رماح المسلمين وقد اجذبت ثعالبها ولم تشرب الا من دماء الابطال:

وزرق ذبـابٍ فـي الثعالـب أجـذبت ومـا انتجعـت الا نجيـع الضـراغم[٢٦]

أما العامل وهو يلي الثعلب، كما في قول ابن هانئ:

وجـــــداولا واجـــــا دلاً ومقـــــاولاً وعـــــواملاً وذوابـــــلاً واختـــــاروا[٢٧]

أما الكعب فهو يلي العامل، كما في قول ابن حمديس، وهو يمدح ابا الحسن علي بن يحيى مظهراً شجاعته فرماحه من شجر الخطي امام كعوبه سنان حاد ينفذ إلى الهدف المراد الوصول اليه:

وأســـمرُ خطـــيّ امـــامَ كعوبـــه سـنانُ ذليـق ينفـذ الحلـق السـردا[٢٨]

٣- السهم:

نال حظوة عند شعراء الاندلس وذلك لانه من الاسلحة المهمة فهو عبارة عن عود رفيع من خشب صلب، يزيد طوله على ذراع، ركبت في احد طرفيه حديدة مدببة تدعى النصل وقد يركب في طرفه الاخر ريشا[٢٩].

ومن خلال قرأتنا للشعر الاندلسي، والتمعن فيه تبين لنا ان المقاتل الاندلسي كان يستخدم نوعين من السهام.

النوع الاول السهم العادي، أما النوع الثاني فهو السهم الناري، وكان يستخدم لحرق الابراج وخرق السفن الكبيرة ويسمى في الاندلس المعرنس، ومن الامثلة على ذلك قول ابي عبد الله بن الحداد:

حقيـــق ان تصـــول بـــي الكمـــاة وان تعنـــو لصـــولتي الكمـــة
إذا فوقـــت فـــي الابطـــال ســـهماً فمـــا تغنـــي الـــدورع الســـابغات
وانـــي كـــالمجرة فـــي اعـــتلاء ونبلـــي الشـــهب والحســـن العـــداة[٣٠]

وكثيرا ما يقترن ذكر السهام بالقسي، وذلك للعلاقة الوطيدة بينهما، فضلا عن انها تعد مكملة لها، كما في قول علي بن ابي الحسين وهو يشبه القسي بالأهلة، ويصور انطلاق السهام منها بالنجوم المضيئة وصوتها بأنين المريض تقذف العدو بسم ناقع لانفاد منه:

وقســـيٍّ نبـــع كالأهلّـــة توجـــت بنجـــوم اســـهمها لنـــزع النّـــازع
خـــرس وتنطـــق بـــالأنين ومـــا بهـــا وصـــب وتقـــذف بالســـمام النّـــاقع[٣١]

أما ابن حمديس فيشبه صوت القسي بأصوات والحان وانغام الموت الممزوج بالسم بعد ان مزقت سهامها نحو الاعداء فيقول:

ومعلمـــات طلـــوع النبـــع حيـــث لهـــا فـــي نـــزعهن بالحـــان الـــردى نغـــم
كانمـــا تســـم الاعـــداء أســـهمها مـــن الـــردى بســـمات، ويـــح مـــن تســـم
تطيـــر بـــالريش والفـــولاذ واردة مـــن النحـــور حياضـــاً مـــاؤهن دم[٣٢]

٤- السفن والاساطيل:

برزت اهمية السفن كأحدى الوسائط المهمة للنقل، وذلك بسبب موقع بلاد الاندلس واحاطتها بالمياه من ثلاث جهات، فضلاً عن انها نوع من الاسلحة التي لقيت من الشعراء عناية كبيرة، واهتماما وافرا، حتى دارت حولها جل قصائدهم البطولية، ولم ينظر اليها على انها وسيلة نقل يتوقف تأثيرها عند حدود الشكل أو المظهر الخارجي فقط، وانما تعمقوا فيها ليكشفوا عن الجانب الحربي الذي تؤديه في المعارك والحروب.

وفي عصر الطوائف حظيت السفن والاساطيل بعناية خاصة، فأصبح لكل دويلة من هذه الدويلات اسطول خاص بها، مثل (الاسطول البحري لدولة بني عباد في اشبيلية، والاسطول البحري في ميورقة، والاسطول البحري لدولة بني عامر في بلنسية، والاسطول البحري لدولة بني صمادح في المرية)، من ذلك قول ابن اللبانة وهو يصف الاسطول الميورقي الذي طالما كان مصدر خطر للعدو، إذ يقول:

لك المنشآت الجاريات كأنها ... ضواري شواهين على الماء حوم
فظلت بها بين النواظر والكرى ... فمن محرم يسري الخيال لمحرم
حمدنا لها فضل التأخر أنه ... يقال: يكون الفضل للمتقدم
اقامت عذارى بالعذارى حواملا ... ولم تر الا ان تجيء بتوأم
هي الغيد وافت منك في الصيد غيرها ... فمن موسم في موسم طي موسم (٣٣)

فالبيت الشعري يحيل إلى قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾(الرحمن: ٢٤)، إذ يرتكز هذا البيت على النص القرآني، فوصف الشاعر اشرعة السفن بطيور البان وهي تحلق فوق سطح الماء، ثم يشيد بشجاعة المحاربين وقد ملؤوا ذلك الاسطول. ثم يشبه هذه السفن بالحبلى التي تضع توأم فضلا عن حسنها وتعدد استعمالاتها.

أما الوزير ابو الوليد محمد بن عبد العزيز، فأجاد في وصف اسطول المعتضد بالله عندما شبهه بالخيل الدهم التي في اوساطها البلق، وفي اطرافها التحجيل، وهي متجهة مسرعة نحو العدو باسواط الرياح، إذ يقول:

فأرح جيادك فهي اطلاح السّرى ... وقد الجيوش إلى العدا اسطولا
انشأتهنَّ سفائناً ومدائناً ... وجنبتهنَّ كتائبا ورعيلا
دهم تخال البيض في اوساطها ... بلقاً وفي اطرافها تحجيلا
قرعتْ باسواط الرياح فأسرعتْ ... في الماء تعمل كلكلاً وتليلا(٣٤)

أما ابن حمديس فقد وصف اسطول القائد مهيب بن عبد العزيز الذي سماه (مسود القرا) فشبه حركته وهو يجري في الماء بالثعبان أما صوت مخره فشبهه بالنعيب، كذلك يجيبه الغراب في البر بالنعيب وهذا نذير شؤوم للاعداء ففيه هلاكهم وموتهم، إذ يقول:

في اساطيل ترى احشاءها ... لبنات الرّومِ فيهنّ انتحاب
ككناس بغمتْ غزلانه ... من زئير راعها من أُسدِ غاب
كل مُسودّ قراهُ خلقةً ... لابساً من ذلك الليل إهاب
إن ثعبانَ سراه يقتدي ... في نعيب منه بالبرّ غراب[٣٥]

ولم يقتصر دور الاسطول في وقت الحرب فقط، وانما في اوقات السلم، ولاسيما في المهرجانات، التي تعد مظهراً من مظاهر الحضارة، ومن ذلك قول ابن وهبون وهو يصف اسطول المعتمد بن عباد وكأنّه عروس تزف إلى الخليج الازرق، وقد اتقن صانعها صنعها، فصور حسنها وجمالها وهي تنزل إلى الماء في عجب، تسحر العيون بجمالها، فيقول:

يا حسنهُ يوما شهدت زفافها ... بنت الفضاء إلى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت ... لك كيف شئت من الحمام الأورق[٣٦]

وعني شعراء الاندلس بانواعها أيضاً فمنها (الحراقات، والشواني، والاغربة والغربان).

فالحراقات هي السفن التي تحمل المنجنيق والنفط الذي يرمى على العدو من اماكن مرتفعة، فتحرق العدو بالنيران الملتهبة، كقول ابن حمديس وهو يمدح علي بن يحيى ويصف السفن التي تقذف النفط المغلي، الذي شبهه بالمهل أو بالحمم البركانية، لشدة حرارته وفتكه بالعدو، إذ يقول:

رأوا حربية ترمي بنفطٍ ... لاخماد النفوس له استعار
كأنّ المهل في الأنبوب منه ... إلى شيءّ الوجوه له ابتدار
إذا ما شُكّ نحرُ العلج منه ... تعالى بالحمام له خوار
كأنَّ منافسَ البركان فيها ... لاهوال الجحيم بها اعتبار[٣٧]

أما الشواني فهي سفن حربية كبيرة تحوي على الابراج وقد اشار الشعراء اليها والى دورها المهم في المعركة، من ذلك قول ابن حمديس:

وقد جعلوا لهم شرع الشواني ... مع الارواح اجنحة وطاروا
وهل يلقى مصادمة حصاهم ... جبالاً سحقها لهم دمار
ليهنك أن ممتنع الأماني ... لكفّك في تناولها اختيار[٣٨]

ومن الانواع الأُخر التي اعتمد عليها بشكل اساس في الحروب ومواجهة العدو هي الأغربة أو الغربان وهي سفن تطلى بالقار، فتشبه بالغراب لسواد لونها، كقول ابن وهبون في وصف اسطول المعتمد بن عباد، إذ يقول:

حيث الغراب يجرُّ شملة عجبهِ وكأنَّه من عزَّهِ لم ينعق(٣٩)

وكثيراً ما كانت تشبه السفن بطائر أو غراب أو فرس وقد تشبه بالفتخاء لسرعتها، وكلها تشبيهات مستوحاة من الطبيعة التي كان لها دور كبير في معظم قصائدهم.

وقد بلغ حرص الشاعر الاندلسي بها وبحركتها واجزائها مبلغا كبيراً، فشبهت المجاذيف بالثعابين لحركتها والتواءها كقول ابن وهبون:

ومجاذف تحكي اراقم ربوة نزلت لتكرع من غدير مُتأق(٤٠)

٥- المنجنيق والمدفع:

إن الاسلحة المتطورة التي كان لها دور كبير وفعال في تحقيق النصر والحفاظ على المدن الاندلسية من الضياع هي (المنجنيق، والمدفع) وبرز دورهما واضحا في هذا العصر، ومن ذلك قول ابن حمديس وهو يمدح الامير يحيى بن تميم ويصف فتحه لحصن الاجم، ويصف المنجنيق ورهبة منظره الذي كان يبعث في العدو الرعب والهلع، كما يرعب النائم عندما يرى حلماً مزعجاً، فبدأ ذلك الحصن من خوفهم، وكأنّه هدم فوق رؤوسهم، إذ يقول:

ولا مجانيق الا ضُمّر جعلتْ ضمورها حولها الابطال والبهم
ترمي قلوبهم بالرّعب رؤيتها كما يروعُ نياماً بالرّدى الحلم
كأنَّما الحصنُ من خوفٍ احاط بهم عليهم، وهو المبنيّ، مُنهدم(٤١)

أما المدفع فيعد من الاسلحة التي كان لها حضور واسع في الاندلس، وذلك لقدرته الفائقة على سحق مجموعات كبيرة من الاعداء، ومن الشعراء الذين اشاروا اليه الشاعر ابن حمديس وهو يمدح علي بن يحيى، ويصف اسلحة المسلمين التي فتكت بالاعداء، إذ يقول:

يوجّهُ وجه الحرب نحو عداتِهِ ويحشو حشاها بالقنا والقنابل(٤٢)

ثانيا: الاسلحة الدفاعية:

وتأتي اهميتها في المرتبة الثانية، وذلك لدورها المكمل للاسلحة الهجومية وحفاظها على سلامة المقاتل من الضربات المباشرة، ومن اهم هذه الاسلحة هي:

١ – الدرع:

وهو عبارة عن قميص متخذ من زرد الحديد، يلبسه المقاتلون في ميدان الحرب لحماية صدورهم وظهورهم من ضربات السيوف، وطعنات الرماح ورميات السهام، وله اكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع [٤٣].

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(النحل: ٨١).

وبرز دوره جلياً في الاندلس في هذه الحقبة نتيجة الصراعات والمعارك، فكان لابد للمقاتل من درع يحميه من طعنات وضربات وسهام الاعداء المباشرة، فأخذ الشاعر يبين اهميته ودوره في القتال وذلك من خلال اختياره من افضل واجود الانواع، محاولين بذلك التحدي والصمود بوجه الاعداء الذين كانوا يرومون النيل من الاسلام والمسلمين، فضلاً عن الفخر بامتلاك الدروع المشهورة منها الداودية نسبة إلى النبي داود (υ) كما في قول ابن حمديس، وهو يصف درعا دقيق الحلق حصين، فهو من نسج النبي داود (υ) المعروف بدقته، حتى كأنه ادق من الرفو تروق للعين من خلال ثقوبه رؤية السماء برونق جميل، إذ يقول:

على أنها من نسج داود نثرة أدق على الابصار من أثر الرفو
تروقك منها زرفة فكأنها سماء بدت للعين في رونق الصحو[٤٤]

والسلوقي نسبة الى سلوق وهي قرية في اليمن، من ذلك قول ابن حمديس في مدح الحسن بن علي بن يحيى، واصفا جيشه الذي عرف بعشقه للحرب فكانوا ينظرون اليها وكأنهم يشاهدون منظراً جميلاً، فتدرعوا بالدروع السلوقية، وسلوا السيوف اليمانية.

وكأن الحرب اذا فتحت تبدي لهم مرأى حسنا
وتخالهم فيها ادرعوا بسلوق وقد سلوا اليمنا[٤٥]

والماذية وهي الواسعة كما في قول ابن حمديس، وهو يمدح الامير يحيى بن تميم بن المعز، ويشيد بشجاعة فرسانه في المعركة، فدروعهم ماذية سميكة واسعة لا يستطيع الرمح اختراقها، اذ يقول:

ماذية يشكو كثرة لحمها ضُرا بلا نقع لسان المنصل[٤٦]

اما صفاتها فكانت تفضل الدروع المضاعفة التي يتداخل الحلق ببعضها، لانها اكثر وقاية من غيرها، كقول ابن حمديس وهو يصف دروع المسلمين التي ضوعف نسجها، وتداخلت حلقاتها وتشابكت بحيث اصبح من الصعوبة تقدير عددها:

ودروع قــد ضــوعف النســج منهــا وتنــاهي فــي ســردها التقــدير[٤٧]

ومن الصفات الأُخر التي تفضل في الدروع هي اللين، كقول ابن حمديس وهو يصف درعاً املساً ليناً واسعاً يريح المقاتل عند ارتدائه في القتال:

وفضفاضــة خضــراء ذات حبائــكٍ اذا لبســت فاضــت علــى بطــل كفــو
لهــا لــين لمــس لا يخــاف خشــونة تشافهها من حدّ ذي شطب مُهو[٤٨]

٢- البيضة:

وهي غطاء من الحديد، وتتكون من قطعة واحدة، مؤخرتها من الزرد يتصل برفوف الدرع لتثبيتها، وقد وصفها علي بن ابي الحسين، وهي على رؤوس المقاتلين بالمشاعل:

واشــباه بيضــات الأداحــي كأنمــا على رؤوس الفتيان منها المشاعل[٤٩]

وقول ابي الفضل الدارمي، وهو يصف جيش ابن ذي النون المامون فهم قوم إذا ركبوا الخيل سدوا الفضاء دلالة على كثرتهم، وان نزلوا في الصحراء الواسعة كأنهم رجل واحد لقوتهم، فالحرب كأس والدماء خمر وما ارتفع من هذه الخمر فهو بيض، فيقول:

قــوم اذا ركبــوا ســدوا الفضــاء وان حلــوا تــوهمتهم فــي البيــد رجــل دبــا
قد صيروا الحرب كأسا والدماء بها خمرا وما جوفت من بيضها حببا[٥٠]

٣- المغفر:

هو عبارة عن زرد من الدروع على قدر الرأس، يصنع في الاصل من الجلد، ثم صنع من المعدن [٥١]، يلبس تحت البيضة لحماية العنق والوجه، من ذلك قول ابن هانئ الاندلسي وهو يشيد بشجاعة جيش المسلمين ورهبة منظرهم، فقد تقنعوا بالحديد حتى عيونهم فصارت مقلتهم الواسعة ضيقة، اذ يقول:

شــمُّ العــوالي والانــوف تبسّــموا تحــت القنــوس فــاظلموا واضــاءوا
لبســوا الحديــد علــى الحديــد مظــاهراً حتــى اليلامــقُ والــدروع ســواء
وتقنعــوا الفــولاذ حتــى المقلــة النجــ لاءُ فيهــا المقلــةُ الخوصــاء[٥٢]

٤- الدرق:

من الاسلحة الدفاعية، التي تحافظ على المقاتل من الضربات والطعنات من جميع الجوانب دون تأثر، وهي تصنع من جلود الابقار ومن جلود الوحوش[٥٣]، وقد جاء ذكرها في الشعر الاندلسي، كما في قول الشاعر ابي الفضل بن شرف، واصفا دورها واهميتها في المعركة فهي تحافظ على المقاتلين بيضاء ساطعة على الرغم من غبار المعركة، فتقصدها المنايا دون جدوى،

فاذا تكالبت السيوف عليها ورمت جوانبها الرماح فأنها لا تؤثر فيها، فوصفها بالابل المرتوية التي توجد بالقرب من الماء وترجع دون سقي، حيث يقول:

جاءتك فادية الكماة بنفسها ... بيضاء يغمرها العجاج فتسطع
فتظل تقصدها الحتوف كأنّما ... فيها لكل شبا وحد موضع
فاذا تعاورت الظبا صفحاتها ... ورمت جوانبها الرماح الشرع
وردت ورود الإبل وهي رويّة ... تُدني السقاة من الحياضِ وترجع[٥٤]

المبحث الثاني

الدراسة الفنية

اللغة الشعرية:

اللغة عنصر مهم من عناصر الشعر، وهي المادة الاولى في بناء العمل الادبي بنوعيه الشعر والنثر، لذلك لابد للشاعر أَنَّ ينتقي الفاظاً تناسب المعنى الذي يريد الافصاح عنه، فلكل غرض الفاظ تتناسب ليناً وشدة أو رقة وجزالة.

فالسلاح من الموضوعات التي تتطلب الجزالة المعبرة عن معاني القوة والشجاعة، فجاءت الالفاظ قوية الجرس ايجابية المعنى فيها ذكر السيف، والرماح، والدروع، والسهام، فضلا عن ما يتبعها من مرادفات تلازمها وذلك لاهميتها الكبيرة في تحقيق النصر والدفاع عن النفس.

فالسيف من اشهر الاسلحة واكثرها تداولاً في شعر الشعراء، فمن الالفاظ التي نعتوا بها سيوفهم: الصوارم، البيض، الحسام، الصارم الذكر.

أما الرماح فيتبعها ذكر الطعن والنهل، وشهب رجوم، سم الاسود، ومن نعوتها: القنا، السمهري، العوالي، زرق الاسنة، الذوابل.

واذا تناولنا الالفاظ الاندلسية التي استعملها الشعراء في وصفهم السلاح نرى الكثير من الالفاظ الرقيقة والبعيدة عن الغرابة، وذلك بحكم البيئة الاندلسية الجميلة، إذ نجد الطابع الذي ساد قصائد وصف السلاح عامة هو الوضوح والبساطة، وكان للبيئة اثرها في اختيار الشاعر لالفاظه وصوره حتى في نطاق غرض واحد كشعر السلاح، فامتازت الفاظه بسهولتها وبعدها عن الاغراب، وذلك لانها ((تناسب نفسية المجتمع الجديد وذوقه ومصادر ايحائه الادبي)) [٥٥].

كما كانت ملامح الافكار والالفاظ الدينية واضحة المعالم فيه، فكان القرآن الكريم معيناً لا ينضب لدى شعراء العربية في كل عصورها، وكان القراء ماثلاً امام انظار شعراء الاندلس وهم ينشدون قصائدهم الحربية.

واقتبس الشعراء فكرة قرآنية، هي جعل الله تعالى الشهب أدوات لرجم الشياطين، هذه الفكرة التي وردت في عدد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (الصافات:٩)

فهذا ابن حمديس يشبه اسنة الرماح، بالشهب المحرقة التي ترجم اهل الضلالة والطغيان:

كـــأنّ شـــهب رجـــومٍ فـــي أســـنته يُـردي بهـا مـن طغـاة الكفـر مـن وردا (٥٦)

ومن الالفاظ الاسلامية التي كثر استعمالها في شعر السلاح هي (نصر الله، دين الله، في سبيل الله)، ليبين الشاعر أَنَّ الحروب والمعارك في الاندلس كانت حروباً في سبيل الله ولاجل نصرة الإسلام والمسلمين، كقول ابن حمديس في مدح ابي الحسن علي بن يحيى، وقد سل سيفه مجاهداً لنصرة دين الله ورفع راية الإسلام:

ملـــكُ لنصـــر الله سَـــلَّ مجاهـــداً عضـــبا توقـــد بـــالمتون وســـالا (٥٧)

كما تردد لفظ اسم النبي محمد (ρ) في قصائدهم الحربية، كما في قول ابن حمديس وهو يمدح ابا الحسن علي بن يحيى:

مـا صَـوْنُ ديـن محمـدٍ مـن ضـيُمه إلاَّ بســـيفكَ يـــوم كـــل جـــلاد (٥٨)

مما تقدم ومن خلال مطالعتنا في شعر السلاح لاحظنا كثرة اقتباس الشعراء لالفاظ القرآن الكريم ومعانيه نصاً أو معنى، وفي ذلك دلالة واضحة على عمق الارتباط بالعقيدة السمحاء، لاستنهاض همم المقاتلين وتحفيزهم على القتال والفوز بالجنة مما كان له الاثر الواضح في تحقيق العديد من الانتصارات والحفاظ على ارض الاندلس.

٢- الصورة الشعرية:

تختلف تعريفات الصورة الفنية وتتعدد الاراء التي تحاول الاحاطة بها، ولعل ابسط تعريفاتها: انها الوسيلة التي يحاول بها الاديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى الاخرين (٥٩)، نحاول هنا أَنَّ نبين كيف ابرز الشعراء مضامين قصائدهم من خلال الصور الشعرية المعتمدة على المجازات اللغوية والتشبيهات المختلفة ومن خلال النماذج سوف يتضح لنا هل كانت صورهم حسية فقط ام أَنَّ هناك صوراً ذهنية، وهل كانت معظم صورهم تقليدية ام انهم يلونون فيها ويضيفون اليها صوراً جديدة منتقاة من بيئتهم التي عرفت بجمالها.

ومن الصور التشبيهية قول ابي الحسن البصري القيرواني، حيث شبه سيوف المسلمين وهي تهوي على رؤوس الاعداء بالاقدار التي يسيرها الله سبحانه وتعالى على من يشاء إذ يقول:

كـــانَّ ســـيوفك الاقـــدارُ تجـــري بمـــا شـــاء الالـــه علـــى العبـــاد (٦٠)

أما أبو بحر بن عبد الصمد فيشبه السيوف المرهفات وهي مخضبة بدماء الاعداء، بالخدود الموردة، إذ يقول:

والمرهفـــات مـــن النجيـــع كأنّهـــا صـــفحات بـــيض بينهـــا توريـــد (٦١)

وقول ابن وهبون في وصف اسطول حربي، فيقول:

زأرت زئيـــر الأســـد وهـــي صـــوامت وزحفـــن زحـــف مراكـــب فـــي مـــازق (٦٢)

وهي صورة ذهنية عبرت عن قوة السفن الحربية التي كان يقودها المسلمون، فشبه الشاعر السفن بأسود تزأر، واضفى عليها صورة مهيبة عند تحركها كموكب يسير ببطء لاحتشاد الناس عليه.

كما استعان شعراء الاندلس في وصفهم للسلاح بالطبيعة الخلابة لرسم صورهم الشعرية التي اضفت على السلاح معالم جمالية، منها قول ابن حمديس وهو يمدح علي بن يحيى، إذ يقول:

وكـــأنَّ الجـــواد والســـيف والـــلأ مـــــة بحـــــرٌ وجـــــدولٌ وغـــــدير (٦٣)

لقد مزج الشاعر بين عدة الحرب ومظاهر الطبيعة، فاضفى على صوره من جمال الطبيعة ما جعلها بأرق تعبير وأجمل تصوير، فشبه الجواد بالبحر والسيف بالجدول والدرع بالغدير، وهذا ما يعطي السلاح صفة اندلسية خالصة مستمدة من الطبيعة ومناظرها الخلابة.

وهناك تشبيهات تعارفها شعراء الاندلس، فجاءت استعمالاتهم لها متقاربة منها صور الرماح المثمرة برؤوس الاعداء، وهي صور كثيرة التردد في شعر الاندلسيين، منها قول ابن عمار:

أثمـــرت رمحـــك مـــن رؤوس كمـــاتم لمـــا رأيـــت الغصـــن يعشـــق مثمـــرا (٦٤)

ولم يقف شعر السلاح عند حد الصور التشبيهية فقط، وانما كان له روافد اخر يستقي منها صوره منها الاستعارة وهي ((استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن ارادة المعنى الاصلي (والاستعارة) ليست إلاَّ (تشبيها) مختصراً، ولكنها ابلغ منه)) (٦٥).

ومن الامثلة على ذلك قول ابن حمديس وهو يصور شجاعة المعتمد بن عباد، وهو يضرب برمحه اعداء الإسلام، فيقول:

وللردينـــي يـــوم الطعـــن عاليـــةٌ تلـــوك بـــين حشـــا الضـــرغامة الكبـــدا (٦٦)

اضفى الشاعر سمة الحياة على الرمح، وذلك من خلال استعارة (اللوك) وهي صفة من صفات الحيوان التي لم تذكر، لتأكيد قوة ضربات بطله التي مزقت احشاء العدو، كما تمزق الوحوش المفترسة فرائسها.

ومن الصور التي استعملها الشعراء في وصفهم السلاح، الكناية فهي ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينقل من المذكور إلى المتروك))[٦٧]. ومن الامثلة على ذلك قول ابن حمديس وهو يمدح علي بن يحيى:

هز بر على بحر من الحرب مفعم على جسمه نهيٌ وفي يده نهر [٦٨]

فقد استعمل الشاعر لفظة ((النهر)) كناية عن سيف المعتمد بن عباد الذي اشبه النهر في لونه ومضائه.

٣- الموسيقى الشعرية:

وضع الشاعر القديم الجانب الصوتي نصب عينيه، وجعله عاملاً مهماً في البنية العامة للقصيدة، والتفت اليه بوسائل عدة كالوزن والقافية فالوزن يعد ركيزة اساسية من ركائز الشعر، تهيء له تفوقاً على سائر فنون الكلام، إذ يضيف اليه طبيعة ادائية تميزه عن النثر، الذي يشترك معه في التوافر على الايقاع بوساطة الاصوات والالفاظ، ضمن مستوى من التشاكل والاختلاف فيما بينها، فضلا عن التراكيب واثرها الايقاعي الناتج عن تكرارها، وتتابعها الاسلوبي في أي نص، وللدخول إلى الاوزان الشائعة في شعر السلاح نجد الطويل، والكامل، والبسيط، وكان البحر السائد في قصائد السلاح خلال هذا العصر هو البحر الطويل هذا البحر الذي ((نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي)) [٦٩]، والذي كان القدماء

يتخذونه ميزاناً لاشعارهم ولاسيما في الاغراض الجدية الجليلة الشأن كما في قول ابن زيدون وهو يمدح المعتضد بن عباد:

غدا بخميس يُقسم الغيم أنّه لأجفلُ منها مكفهرّا واكثفُ
هو الغيمُ من زُرق الأسنّةِ برقُة وللطّبل رعدُ نواحيهِ يقصفُ
فلمّا قضينا ما عنانا اداؤهُ وكلٌّ بما يُرضيك داعٍ فملحفُ [٧٠]

ويلي هذا البحر في الشيوع البحر الكامل، كما في قول أبي بحر عبد الصمد:

فاطعن ولو انَّ الثريا تغرة واضرب ولو أن السماك وريدُ
وافتح ولو انَّ السماء معاقلٌ واهزم ولو أن النجوم جنود
واطلب بملك الارض حقا إنه فرض على بيض السيوف وكيد
وطل ابن عباد على املاكها فقد ارتضاك الواحد المعبود [٧١]

ويحتل البحر البسيط المرتبة الثالثة في شعر السلاح، كما في قول ابن زيدون وهو يمدح ابا الوليد بن جهور:

مـــن عتـــرةٍ أو همتـــه فـــي تعاقبهـــا أنّ المكـــارم ايصـــاءً بهـــا شـــرعُ
مُهـــــذَّبُ اخلصـــــتهُ أوّليتـــــهُ كالســـيفِ بـــالغَ فـــي اخلاصـــه الصّـــنعُ
إنّ السّـــيوفَ إذا مـــا طـــاب جوهرهـــا فـــي أوّل الطبـــعِ لـــم يعلـــق بهـــا طبـــعُ[٧٢]

أما القافية فهي (ركن اخر من اركان القصيدة في بنائها وموسيقاها في النقد العربي القديم، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر) [٧٣].

وذهب القدماء إلى ان شعراء الرقة يميلون إلى استخدام الكسر لما فيه من لين يلائم العواطف الرقيقة، وشعراء الفخامة يميلون إلى الضم لما فيه من قوة وفخامة يلائم العواطف القوية[٧٤].

تعد القافية المطلقة من اكثر القوافي استعمالاً في شعر السلاح، اما القافية المقيدة فهي لا تشكل الا نسبة ضئيلة في شعر السلاح.

اما بالنسبة إلى حروف الروي التي استعملت بكثرة في شعر السلاح فهي (الراء، واللام، والباء) ولهذا عُدّ حرف الراء من اكثر الحروف انسجاماً مع الاشعار التي عُنيت بالسلاح، فهو من الحروف المجهورة التي تساعد على شد انتباه المتلقي، فضلاً عن تأكيد المعنى، ومن الامثلة على ذلك قول ابن حمديس في مدح المعتمد بن عباد:

إذا التظـــت شـــعلُ الأرمـــاح وانغمســـت مـــن الـــدروع علـــى الارواح فـــي غـــدر
وفـــي اصـــطبارك فيهـــا والـــردى جـــزع مـــا دل انّـــك عنهـــا غيـــر مُصـــطبر
ومـــأزق مزقـــت بـــيضُ الســـيوف بـــه مـــالا يرقعـــه الآســـون بـــالابر
مـــن جحفـــل ضـــم الفـــتح المبـــين لـــه ذل الاعـــادي بعـــز النصـــر والظفـــر[٧٥]

اما اللام فهو من الحروف التي طغت على شعر السلاح، وذلك لان هذا الحرف يشكل تنغيماً يمنح القافية تأثيراً موسيقياً واضحاً، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حمديس في مدح علي بن يحيى:

فـــي جحفـــلٍ مـــلأ الهـــواء خوافقـــاً والســـمع ركـــزاً، والفضـــاء دعـــالا
وأن اطـــــراف الـــــذوابل فوقـــــه تـــذكي لاطفـــاء النفـــوس ذُبـــالا
بالخيـــل جُـــرداً، والســـيوف قواضـــباً والبـــذل قـــودا، والرمـــاح صـــوالا
ويعـــارض المـــوت الـــذي فـــي طيـــه وبـــل يصـــب علـــى عـــداك وبـــالا[٧٦]

اما الباء فهو من الحروف التي استعملت بكثرة في شعر السلاح، وذلك نظرا لما يمتلك هذا الحرف من نبرة صوتية عالية جعلته ينسجم مع موضوع السلاح، كما في قول ابن زيدون:

فانــت الحســامُ الغضــبُ اصــدى متنــه وعُطّـــل منـــه مضـــربُ وذُبـــابُ
ومـــا السّـــيفُ ممّـــا يســـتبانُ مضـــاؤه إذا حـــــاز حـــــدَّهُ وقـــــرابُ (٧٧)

اما الموسيقى الداخلية فليست بأقل اهمية من الموسيقى الخارجية بل تبلغ جلّ التأثير في سامعها، فضلاً عن التلاقح الذي كثيراً ما يحدث بين المظهرين في خلق الموسيقية المطلوبة، ومن صور الموسيقى الداخلية التي كان لها حضور واسع في شعر السلاح هي التكرار، والجناس، والتقفية.

يتبين لنا مما سبق، ان السلاح من الموضوعات التي نالت اهتمام العربي، وقد بلغت ذروة هذا الاهتمام باقتناء اجود وافخر الاسلحة التي تدل على بطولة الممدوح وشجاعته، فحظي السلاح بكل انواعه بعناية الشعراء منذ العصر الجاهلي والاسلامي والاموي والعباسي وصولا إلى العصر الاندلسي عصر ملوك الطوائف عصر الدراسة، لما يمثله السلاح من اهمية بارزة في عصر تزاحمت فيه الصراعات والنزاعات بين امراء الطوائف من جانب، وبينهم وبين النصارى من جانب آخر، فلم تكن تخمد ثورة أو معركة الا وتقوم اخرى، مما جعل هذا العصر يشهد صراعات وحروباً كثيرة لتوطيد اركان الدولة الاسلامية في الاندلس.

ان الجهاد والحفاظ على المدن الاسلامية من الضياع كان من بواعث شعر السلاح في الاندلس، فاخذ السلاح حيزاً كبيراً في الشعر الاندلسي عصر ملوك الطوائف، إذ ادام الشعراء النظر اليه، فوصفوا اجزاءه وانواعه، ولم يتركوا جزءاً من اجزائه الا ووصفوه، وقد ارتسمت في صورهم التي صوروها مدى الاهتمام والاعتزاز الذي كان يساورهم نحو السلاح.

ومن ذلك يتضح ان العرب في الاندلس مجدوا السلاح وتغنوا به، لرد اطماع المعتدين والحفاظ على ارضهم، وتحطيم كل مخططات العدو التي حاولت النيل منه والقضاء على الاسلام في الاندلس.

أما ابرز سماته فهي:

١- ازدهر وصف السلاح بشتى صنوفه والوانه في عصر دراستنا، وتوسعت مجالاته، وكثر قائلوه لتوافر عوامل مشجعة واسباب دافعة، يتعلق بعضها باعتزاز شعراء الاندلس بتراثهم المشرقي، ويتصل بعضها بالاوضاع العامة للمجتمع الاسلامي في الاندلس، وما شهده من حروب وفتن.

٢- ان الاشعار التي وردت في ذكر السلاح كثيرة، إذ تعبر عن تعلق شعراء الاندلس في هذا العصر بالسلاح وافتتانهم به، مصورين حروبهم وبطولاتهم على الاعداء، فالشاعر في وصفه للسلاح استمد صوره من الشعر المشرقي تارة، ومن الطبيعة تارة اخرى، فاضفت الطبيعة

الخلابة لبلاد الاندلس مسحة جمالية للسلاح، وهذه تعد ميزة تفرد بها الشعر الاندلسي الذي تلونت صوره تبعا لتلون بيئته وجمالها.

٣- شعر السلاح عندهم لا يظهر كغرض مستقل بنفسه الا في بعض المقطوعات، وقد امتزج بأكثر الاغراض التي طرقها شعراء الاندلس، وكان المديح كما رأينا اكثر هذه الاغراض ارتباطا بوصف السلاح، فضلا عن الفخر والغزل والرثاء.

٤- لم يقتصر شعر السلاح على الاسلحة التقليدية فقط، بل امتد ليشمل الاسلحة المتطورة من (سفن حربية، منجنيق، مدفع) والتي كان لها دور كبير في تحقيق العديد من الانتصارات، وتعد هذه ميزة فنية تفرد بها الشعر الاندلسي، والتي كانت محتذى لكثيرين بعدهم.

٥- أما بالنسبة إلى موسيقى الشعر فنلاحظ ازدياد نسبة الابحر الطويلة وذلك لقدرتها على استيعاب المجال اللغوي للتصوير فضلا عن قدرة الاصوات اللغوية على احداث التناغم، الذي يكون الايقاع الداخلي.

الهوامش :

(١) اثر التسلح في التاريخ من حروب القرون الوسطى الى نهاية الحروب العالمية الثانية، تأليف: الجنرال ج- ف-ث- فوللر، ٢١، نقله الى اللغة العربية اسرة اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسوريا عن اللغة الانكليزية، سوريا، ١٩٥٤.

(٢) ينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، علي عبد الرحمن بن هذيل، ١٨٧، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥١.

(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ١٨٩.

(٤) عيون الاخبار، ابن قتيبة الدينوري، ٢١٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

(٥) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ق٢/م٤٩١/١، تحقيق د. احسان عباس، ط١، بيروت، ١٩٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ق٢/م٤٩٦/١.

(٧) ديوان الحكيم ابي الصلت امية بن عبد العزيز الداني، ٨١، تحقيق محمد المرزوقي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ١٩٧٩.

(٨) الذخيرة، ق١/م١٧٩/١.

(٩) ديوان ابن حمديس، ٢٤٢، صححه وقدم له د. احسان عباس، جامعة الخرطوم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠.

(١٠) المصدر نفسه، ٢٧٩.

(١١) الذخيرة، ق٣/م٨١٥/٢.

(١٢) ديوان ابن حمديس، ١٤١.

(١٣) المصدر نفسه، ٣٨٢.

(١٤) ديوان ابن هانئ الاندلسي، ٣٥، دار بيروت، ١٩٨٠.

(١٥) ديوان ابن حمديس، ٣٨٢.

(١٦) ديوان ابن هانئ، ٧٢.

(١٧) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ٢٠١.

(١٨) المصدر نفسه، ٢٠٢.

(١٩) ديوان المعتمد بن عباد، ٩٧، تحقيق احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٥١.

(٢٠) ديوان ابن حمديس، ٢٥٢.

(٢١) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(٢٢) ديوان ابن حمديس، ١٤١.

(٢٣) الذخيرة، ق٣/م١/٣٥٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ق٢ م٢، ٨٢٠.

(٢٥) ينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ٢٠٤.

(٢٦) ديوان ابن حمديس، ٤٤٨.

(٢٧) ديوان ابن هانئ الاندلسي، ١٤٩.

(٢٨) ديوان ابن حمديس، ١٦٤.

(٢٩) ينظر: الفن الحربي في صدر الاسلام، عبد الرؤوف عون، ١٣٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.

(٣٠) الذخيرة، ق٤/م١/٢٠٩.

(٣١) كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، ابن الكتاني الطيب، ٢٠٣، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

(٣٢) ديوان ابن حمديس، ٤٦٥-٤٦٦.

(٣٣) شعر ابن اللبانة، ٩٧، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، ١٩٧٧.

(٣٤) الذخيرة، ق٢/م١/١٢١.

(٣٥) ديوان ابن حمديس، ق٢/م١/١٢١.

(٣٦) الذخيرة، ق٢/م١/٥٠٥.

(٣٧) ديوان ابن حمديس، ٢٣٩.

(٣٨) ديوان ابن حمديس، ٢٣٩.

(٣٩) الذخيرة، ق٢/م١/٥٠٦.

(٤٠) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري التلمساني، ٦٠/٤، تحقيق د. احسان عباس، مطبعة دار صادر، ١٩٦٨.

(٤١) ديوان ابن حمديس، ٤٦٥.

(٤٢) ديوان ابن حمديس، ٣٩٦.
(٤٣) ينظر: بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، محمد شكري الالوسي، ٦٦/٢، عني بشرحه وضبطه محمد بهجت الاثري، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، د.ت.
(٤٤) ديوان ابن حمديس، ٥٢١.
(٤٥) المصدر نفسه، ٥١٢.
(٤٦) ديوان ابن حمديس، ٣٨٥.
(٤٧) ديوان ابن حمديس، ٢٤٧.
(٤٨) المصدر نفسه، ٥٢١.
(٤٩) كتاب التشبيهات، ٢٠٦.
(٥٠) الذخيرة، ق٤/م١/١١٢.
(٥١) ينظر: السلاح في الاسلام، عبد الرحمن زكي، ٥٦، دار المعارف ط١، د.ت.
(٥٢) ديوان ابن هانئ الاندلسي، ١٦.
(٥٣) ينظر: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ٢٣١.
(٥٤) الذخيرة، ق٣/م٢/٨٨١.
(٥٥) اشبيلية في القرن الخامس الهجري، صلاح خالص، ٨٥، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
(٥٦) ديوان ابن حمديس، ١٧٠.
(٥٧) المصدر نفسه، ٣٨٨.
(٥٨) ديوان ابن حمديس، ١٤٥.
(٥٩) ينظر: اصول النقد الادبي، أحمد الشايب، ٢٤٢، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٩٤.
(٦٠) الذخيرة، ق٤/ م١/ ٢٦٤.
(٦١) المصدر نفسه، ق٣/ م٢/ ٨١٥.
(٦٢) نفح الطيب، ٤/ ٦٠.
(٦٣) ديوان ابن حمديس، ٢٤٧.
(٦٤) محمد بن عمار، ١٩٣، تحقيق د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧.
(٦٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ٣٠٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١٢.
(٦٦) ديوان ابن حمديس، ١٧٠.
(٦٧) مفتاح العلوم، يوسف بن ابي بكر السكاكي، ٦٣٧، تحقيق اكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، ط١، بغداد، ١٩٨٢.
(٦٨) ديوان ابن حمديس، ٢٥٦.
(٦٩) موسيقى الشعر، ابراهيم انيس، ١٩١، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.
(٧٠) ديوان ابن زيدون، ١١٥، دراسة وتحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ٢٠٠١.

(٧١) الذخيرة، ق٣/م٢/٨١٦.
(٧٢) ديوان ابن زيدون، ١٨٥.
(٧٣) في العروض والقافية، د. يوسف حسن بكار، ٦، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤.
(٧٤) ينظر: المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ٦٩/١، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠.
(٧٥) ديوان ابن حمديس: ٢٠٧.
(٧٦) المصدر نفسه: ٣٨٩.
(٧٧) ديوان ابن زيدون: ١٢٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اثر التسلح في التاريخ من حروب القرون الوسطى إلى نهاية الحروب العالمية الثانية، تأليف: الجنرال ج-ف-ث-فوللر، نقله إلى العربية اسرة اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، سوريا ١٩٥٤.
- اشبيلية في القرن الخامس الهجري، د. صلاح خالص، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥.
- اصول النقد الادبي، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٩٤.
- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، محمد شكري الالوسي، عني بشرحه وضبطه محمد بهجت الاثري، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، د.ت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١٢.
- حلية الفرسان وشعار الشجعان، علي عبد الرحمن بن هذيل، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥١.
- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د. احسان عباس، جامعة الخرطوم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠.
- ديوان ابن زيدون، دراسة وتحقيق، عبد الله سند، دار المعرفة، ط٢، ٢٠٠٨.
- ديوان ابن هانئ الاندلسي، دار بيروت، ١٩٨٠.
- ديوان الحكيم ابي الصلت امية بن عبد العزيز الداني، تحقيق محمد المرزوقي، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس، ١٩٧٩.
- ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٥١.

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق د. احسان عباس، ط١، بيروت، ١٩٧٩.
- السلاح في الاسلام، عبد الرحمن زكي، دار المعارف، ط١، د.ت.
- شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، ١٩٧٧.
- عيون الاخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- الفن الحربي في صدر الاسلام، عبد الرؤوف عون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.
- في العروض والقافية، د. يوسف حسين بكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤.
- كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، ابن الكتاني الطيب، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- محمد بن عمار، تحقيق صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧.
- المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠.
- مفتاح العلوم، يوسف بن ابي بكر السكاكي، تحقيق اكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، ط١، بغداد، ١٩٨٢.
- موسيقى الشعر، ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري التلمساني، تحقيق د. احسان عباس، مطبعة دار صادر، ١٩٦٨.

Abstract

The continuance wars in Andlusia during the kings of sects had a clear effect in the appearance of the weapon poetry that which detects wars that Muslims went through against Christians. Weapons were used in battles had importance for each type, and confronting the current plans of Christians to overcome Islam and Muslims in Andalusia. Thus, poet began

to chant for their victories to encourage Muslims. The so-called "weapon-poetry" began to take a wide scope in their poetry. Most of them entered in their themes such as praise, honour, elegy, love. Praise has been the most of these genres related.

Poets did not suffice to the description of weapon, its types and features. But they also tackled its parts as well. They tackled war weapons such as warships which had the clearest role in the land of Andalusia due to the nature of the land surrounded in three side. The Andalusia also used catapult and canon in their battles.

The Andalusian poet was taking the element of imagery from his cultural background or from the new civilization that he mixed and reacted with the,, and added to that the weapon poetry. Thus, the image comes in an expressive way and taste. That made the image invented.